

# مقومات الرسالة الحضارية للأمة الإسلامية في التناوب الحضاري

الدكتور محمد دباغ

كلية العلوم الإسلامية. جامعة أدرار

## الملخص:

إن المنتبج لتاريخ الفكر الإسلامي نشأة وتطورا يدرك بجلاء عناصر القوة في هذا الفكر في مختلف الجوانب، كما أن التطبيق العملي للنظم الإسلامية عبر التاريخ، يبين ما امتازت به هذه الحضارة من مبادئ سامية في كافة النظم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتشريعية، كما عبر عن ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته.

وإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذا القدر من الأهمية فإنها بلا شك تتطوي على عوامل القوة والانبعاث كلما توفرت الشروط اللازمة لقيامها .

ومن المعلوم أن المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية مبنية على أسس ودعائم قام عليها الفكر الإسلامي عموما وهي مبادئ ثابتة في أصولها منظورة في فروعها، وهذا ما يجعلها قادرة على مسايرة العصور وحل مشكلات البشرية في مختلف البقاع وذلك ما يحقق للأمة الريادة التي أناطها الله بها بمقتضى قوله تعالى: ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا).

المبحث الأول: مفهوم الرسالة الحضارية للأمة

المطلب الأول: مفهوم الأمة

إن لفظ الأمة ورد في اللسان العربي بمعان عدة أهمها ماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا )1  
أي جماعة تشترك في المبادئ والأهداف، وقوله تعالى: ( واذكر بعثناك أمة )2

أي بعد زمن ما، وظاهر أن أنسب المعاني للموضوع هو المعنى الأول أي

معنى الجماعة<sup>3</sup>

جاء في مختار الصحاح الأمة الجماعة وتطلق على الطريقة والذين يقال فلان لا أمة له أي لا دين له ولا نحلة<sup>4</sup>.

وعرفها الدكتور الصادق عفيفي اصطلاحاً بأنها: ( جماعة من الناس متحدة الجنس واللغة والدين والتاريخ تربط أفرادها على طول الزمن الاحساسات المتشابهة والمنافع المشتركة والعوامل الاقتصادية)<sup>5</sup>.

**المطلب الثاني:** مفهوم الرسالة الحضارية

يقصد بالرسالة الحضارية مجموعة منقاصت والأهداف التي يجب على الأمة تحقيقها، وهذه الرسالة قد تكون ذات طبيعة فردية أو جماعية.

أما الوظيفة الجماعية فمبنية على مبدأ الاستخلاف في الأرض وهذا المبدأ يقتضي جملة من المؤهلات التي تجعل الأمة في مستوى الاستخلاف.

ونأتي بعد ذلك الوظيفة الفردية المبنية على قوله تعالى: (إنا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)<sup>6</sup>.

وقوله تعالى: (أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وانكم لنا لاترجعون)<sup>7</sup>

**المطلب الثالث:** مفهوم الحضارة الإسلامية

لمفهوم الحضارة علاقة متينة بمفهومى الثقافة والمدنية، ولبيان التمايز بين مفهومى الحضارة والمدنية نختار أن مصطلح الحضارة يختص بالتكوين الثقافي والمعنوي لمجتمع ما<sup>8</sup>. ونفط متنية بعد أكثر اتصالاً بالحضارة المادية وهناك ضبط آخر للاصطلاحين مؤداه أن:

الحضارة = مادية + قيم

ومن هذا التحليل نستخلص أن الحضارة الإسلامية تحمل في طياتها مكونات الثقافة الإسلامية بجميع مبادئها، وبذلك نستطيع القول أن يمكن أن نسقط خصائص الفكر الإسلامي على خصائص الحضارة الإسلامية خاصة ما يتعلق بخاصيتى الإنسانية والعالمية.

**المبحث الثاني:** أسس الرسالة الحضارية للأمة

**المطلب الأول:** الدعوة الإسلامية

من أهم وظائف الأمة الإسلامية الدعوة إلى الخير والتثبيت عليه سواء كان ذلك على الصعيد الفردي أو الجماعي

وبيان ذلك ماورد في قوله تعالى: ( وتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر )9

وبصرف النظر عن الخلاف الوارد في الآية هل هي دالة على العينية أو الكفائية، فإنه باستصحاب قاعدة تعيين فرض الكفاية عند تركه من قبل الكافة، فإنه يمكن أن يستدل بكون هذه الفريضة من أهم الأسس الحضارية للأمة

أما على الصعيد الفردي فإن انه خص المصلحين من الأمة بالثناء و عظيم الأجر في قوله تعالى: ( والذين يسكنون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لأنضبع أجر المصلحين )10

وقد تميزت الدعوة الإسلامية عبر العصور بخصائص ومميزات كان من نتائجها لقياد الناس لرسالة الإسلام عن طواعية و كان امتثالهم للأوامر واجتنابهم للنواهي منطلقاً من دوافع فطرية وبواعث روحية، مما يدل على ان رسالة الإسلام تحمل في ثناياها ملكة تنفذ بها إلى العقول والقلوب في ان واحد

ولكي نستعيد رسالة الإسلام هذا الدور لابد من اترك جملة من العوامل أهمها:

-البيان الوافي لأحكام الإسلام ومبادئه

-التصدي للشبهات التي تثار ضد الفكر الإسلامي تاريخياً وواقعياً

-أخذ المسلمين بالأسباب العلمية والعملية التي تجعلهم في مستوى رسالة الإسلام حتى يعجزوا عنها بصق

**المطلب الثاني:** رباتية المصدر والوحية

جاءت رسالة الإسلام لتربط الناس بحالقيم البناء ودوامها، فيبين في أساسها وحي الأهي سواء كان باللفظ أو بالمعنى، وهذه الخاصية تجعل الثقة مثبتة بين هذه الرسالة وبين من آمنوا بها11

كما أن سعياً إلى توحيد لإرضاء خالقهم بقرئهم ان جمع ما يعملونه إنما هو قصد تحقيق مرضاته حل وعلا ، قال تعالى: ( قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين )12

**المطلب الثالث:** سمو المقادير والأهداف:

إن رسالة الإسلام جاءت لتحرر العقل البشري من الجهل والخرافات والتقاليد البائدة، فحررت العقل من عبادة غير الله، ووجهته إلى التفكير الحر حيث أخضعت جميع الحقائق لمبدأ البرهان حتى يكون الفكر حراً فيما يعتقد أو ينكره .  
ثم إنها وجهت الناس إلى الاستعمال بعضا من الأمور حيث نبهت الإنسان إلى حقيقة وجوده وإلى أهم الأولويات التي ينبغي له أن يراعيها مركزاً في ذلك على ضرورة التوازن بين المتطلبات الروحية والمادية. قال تعالى: ( وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)13

#### المطلب الرابع: كمال التشريع

تضمنت رسالة الإسلام تشريعاً متكاملًا ينظم العلاقات الإنسانية تنظيمًا دقيقًا محكمًا شاملًا يستوعب جميع جوانب الحياة، ولذلك وحدنا الفقه الإسلامي مقسماً تقسيمياً فنياً حسب مواضيع الأبواب ابتداءً من العبادات إلى تنظيم العلاقات الدولية في السلم والحرب

ولعل من أكثر المواضيع دلالة على واقعية رسالة الإسلام وسمو ميادنها هي تقرير كون العلاقات الدولية في الإسلام مبنية على السلم وهو مبحث مهم من مباحث السياسة الشرعية نكتفي في الاستدلال عليه بقوله تعالى: ( ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)14

#### المبحث الثالث: رسالة الأمة وفاق المستقبل

##### المطلب الأول: استعادة الدور الحضاري:

إن الله سبحانه وتعالى وعد الأمة الإسلامية باستعادة نورها في الحياة وتبويتها المكانة الحضارية التي كانت عليها وذلك عندما تتحقق الشروط الموضوعية وتتوفر الأسباب الشرعية لهذا الدور وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً)15

ومن هنا نستخلص قدرة الرسالة الإسلامية على الانبعاث والتجدد كلما توفرت الشروط الموضوعية لذلك، يقول الأستاذ ابراهيم نويري: ( إن الحضارة الإسلامية تتزهل وتضعف نخبنا لانموث، لأنها تحمل في جوهرها ومكوناتها كناية خالداً انتهى إليه الوحي الألهام كله، وتجمعت في شياخ كل الرسالات فيو وأن

كانت ألفاظه وكلماته عربية المعاني إلا أنه مطلق بخصائصه ودلالاته وكل أمة من أمم الدنيا تستطيع أن تستفيع بما فيه من هدايات عامة وسنن كونية واجتماعية كما تخص انها معنية بمضامينه وأن خطابه موجه إليها(16)

#### المطلب الثاني: العلاقة بالأمم الأخرى

إن واجب الدعوة يحتم على الأمة الإسلامية أن تقوم بتورها كاملا تجاه الأمم الأخرى. وذلك بتعريفها بحقيقة الإسلام ونشر تعاليمه السمحة كما يجب عليها أن تتمثل هذه المبادئ عملا وسلوكا حتى تكون في مستوى القوة الحسنة التي هي شرط أساس في الدعوة.

أضف إلى ذلك أنه لا يلقى بالأمة الإسلامية إن تتعامل مع الحضارات الأخرى بعقلية الضعيف، الميزوم بل يجب عليها أن ترتقى إلى درجة المستفيد الذي يحسن غريبة الأشياء ويميز بين النافع والضار ويوزن كل الأمور بميزان دقيق مرجعه المبادئ المبنية على الموروث الحضاري والقيم الأصيلة(17)

#### المطلب الثالث: رسالة الأمة وتحديات العولمة

لئن كانت العولمة في أصلها فكرة اقتصادية فإنها تتوسع متخذة أشكالاً مختلفة لتغزو كافة المجالات ففي في المجال السياسي تحاول فرض نموذج معين يجسد فكرة الديمقراطية الغربية ولو بوجه من الوجود، كما أنها في المجال الاقتصادي تحاول الخروج عن الأنظمة التقليدية لتعمم فكرة اقتصاد السوق، وفي المجال التكنولوجي تحاول استغلال جميع الوسائل لتجعل من العالم قرية صغيرة وفي هذا الحضم لايت للامه من أن تتفاعل إيجابيا مع جميع هذه المعطيات وتقرض خصوصياتها في المسائل الثابتة في مختلف المجالات. ذلك لأن الاستفادة من العولمة تقتضي ألا يكون هناك طرف مهيم يجعل الجميع تابعاً في جميع الأمور والإكانت العولمة هيمنة

#### الخاتمة:

إن هذه القراءة التحليلية لمبادئ الرسالة الحضارية للأمة الإسلامية نخلص إلى النتائج الآتية:

1- إن رسالة الأمة الحضارية رسالة سامية تُهدف إلى تحقيق سعادة البشرية جمعاء

2- إن حضارة الإسلاميه تحمل في طياتها عوامل الانبعاث والتجدد

3- على الأمة الإسلامية أن تكون فى مستوى حضارتها وتاريخها لتستعيد دورها الريادى بين الأمم، ولأنتم لها ذلك إلا بالذرات واجتيا الشرى وسعيها الحثيث لتأديته بكافة الأسباب العلمية والعملية

4- ضرورة مراعاة السنن الكونية فى التغيير والإخذ بأسيابه

5- مواجهة الأمة للتحديات التى تعوق التنمية الحضارية وذلك بمحاربة الجهل والتخلف

6- الاستغلال الأمثل للمبادئ السامية التى تدعو إلى التعامل الإنسانى مع كافة الأمم بشرط الحفاظ على الشخصية وتجنب الانهزاد المؤدى إلى الشعور بعقدة النقص

7- التمسك بالمبادئ الثابتة للرسالة الإسلامية والتعامل مع الفروع المتغيرة فى إطارها

#### الهوامش:

- (1) البقرة: 143
- (2) يوسف: 45
- (3) ابن عسور: التحريز والتتوير، 3-48
- (4) مختار الصحاح، 22
- (5) السلاط أن هذا التعريف لا ينطق تماما على الأمة الإسلامية لخصوصيتها والساعيا وعدم الحضارها فيما ذكر، وانظر أيضا عقوى، الإسلام والعلاقات الدولية، 114
- (6) الأعراب، 72
- (7) المؤمنون: 116
- (8) سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة، 24
- (9) ل عمران: 104
- (10) الأعراب، 110
- (11) القرطوبى، مدخل دراسة الشريعة، 87
- (12) الأعراب، 164
- (13) النقص: 77
- (14) البقرة: 206
- (15) النور: 53
- (16) مجلة المعيار، العدد الثالث، 291
- (17) مجلة عمارة، لزمنة الفكر الإسلامى الحديث، 65